

قبل الحديث عن تقنيات الحجاج في فكر بيرلمان نشير إلى نقطة هامة مفادها أن الحجاج عند بيرلمان يقوم على دراسة تقنيات الخطاب التي توحى للأذهان إلى التسليم بكل ما يعرض عليها من فرضيات تساهم في مناقشة مفهوم الحجاج باعتباره ركنا أساسا في البلاغة الجديدة و أهم آلياته الإقناعية، لذلك أسست مفاهيم الحجاج على مضامين أساسية تلخص في النقاط الآتية.

-الدعوى: والمقصود منها ما يقصده المتكلم ، و ما ترمي إليه الرسالة،

-المقدمات: ونقصد بها مجموعة البديهيات التي يؤسس المتكلم عليها حججه ترتبط بالنتائج المنشودة،مراعيًا قبولها لدى السامعين،

-التبرير: وهي تلك الملاءمة بين المقدمات وصلاحية النتائج.

-الدعامة: وهي البراهين و الدعائم المقدمة بغرض تقوية النتائج ومدى الأثر الذي تتركه في السامعين.

-الاحتياطات: و مجموعة الاحتمالات التي يضعها المتكلم للرد عن كل الاعتراضات التي يتلقاها من السامعين.

أما عن تقنيات الحجاج عند بيرلمان فإنه يحسن بنا أن نميز بينما هو منطقي و ما هو بلاغي، فإذا كان المنطق ينطلق من مسلمات لا تقبل الطعن بوصفه نسقا يخالف بشكل أو بآخر الحجاج البلاغي الذي يتبنى منهجا يقوم على الشك، من هنا ذهب بيرلمان إلى أن الحجاج في المنطق ضروري و إلزامي، فإن ذلك لا يكون في البلاغة بشكل إلزامي، من هنا فالحجاج يسير في اتجاه معاكس للمنطق ومن خلال ذلك راح بيرلمان و زميله في كتابيهما المصنف في الحجاج يصنفانه إلى جنسين هامين هما:

1-حجج تقوم على الوصل :وتضم كل الحجج التي تهتم بها الدراسات البلاغية اليونانية، وتهدف إلى نقل المقدمات إلى النتائج، بحيث ما يصدق على المقدمات يصدق على النتائج و هي أنواع منها:

1-حجج شبه منطقية

2-حجج مؤسسة على بنية الواقع

3-حجج مؤسسة لبنية الواقع.

-حجج قائمة على الفصل:وهي حجج تهدف إلى الفصل بين عناصر التراكيب اللغوية، و إحداث قطيعة داخل المفهوم الواحد .

سنحاول شرح الحجج القائمة على الوصل:

-الحجج شبه المنطقية.

-الحجج التي تعتمد البني المنطقية

لقد اصطلح على هذه الحجج بالحجج المنطقية والفكر الصوري،فهي تشترك مع البلاغة في عدم إلزاميتها، وعدم فرض إجراءات منطقية،فهي تضمن لكل دعوة ذات طبيعة صورية.وعلى الرغم من ذلك فهي تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الاقناعية من مشابهتها للأشكال المنطقية في عملية المحاجة و الاستدلال و البرهنة،وفي هذا التوجه عرض بيرلمان أنواع الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البني المنطقية، و مثل لها بـ :— :

-حجج التناقض و التعارض(عدم الاتفاق):

كثيرا ما نصطدم بالتناقض،و التعارض في بعض المواقف الحجاجية،وهي سمة في بعض الحجج شبه منطقية حين تكون قضيتان في نطاق مشكلتين إحداها نفي للأخرى،ونقض لها ونضرب مثلا لذلك فنقول القطار وصل ولم يصل .

أما مصطلح التناقض فالمقصود به أن يكون بين الكلمتين تعارض و عدم اتفاق،من حلال وضعهما في الواقع،من خلال الظروف،و السياق لاحتياز إحدى الأطروحتين،و إقصاء الخاطئة .

الخلاصة أن التناقض يكون التناقض داخل النظام الشكلي، في حين يكون التعارض ناتجا عن علاقة المنجز اللغوي بالسياقات المحيطة به، ونشير إلى أن الأنساق الصورية لا تقبل التناقض، على خلاف طبيعة اللغة التي تحمل شحنة تناقضية، أو تعارضا يفسره التأويل، وتحققه اللغة اليومية، فمثلا إذا قال أحجهم: إننا ندخل و لا ندخل نفس البحر مرتين، فقد يظهر التعارض، غير أنه سرعان ما تظهر الحقيقة بفضل مظاهر التأويل في عبارة نفس البحر بوسيلتين مختلفتين، فقد يكون الإثبات صادقا مع الأول، و النفي في تأويل الثاني، فهذا الاتفاق في الحجج التناقض داخل المنطق الصوري، وهي نسبية. التعارض وعدم تبرز من خلال اتفاق و تناسب مع المقدمات .

إن الموروث الديني مثلا يقوم على تحصيل العلم و المعرفة و ارتكاب الذنوب، فهو عين التناقض، و المتكلم يسعى إلى إقناع السامع بأن الذنوب تتنافى، و تتناقض مع محبة تحصيل الفقه. وحتى يتحقق ذلك لا بد من الابتعاد عن ارتكاب المعاصي، وقد صور الشافعي الموقف حين قال:

شكوت إلى وكيع سوء حظي /// فأرشدني إلى ترك المعاصي

و أخبرني بأن العلم نور /// و نور الله لا يهدي لعاصي

و مجمل القول هو أن التعارض يفرض على المتكلم أن يختار إشكالية، أو أن يطرح موضوعا يتبعه في حالة وجود تناقض، حتى يترك الثاني الخيار وأن يقلص من مداه لأن التعارض ضمن الحجج يعرض الشخص للسخرية والشتم شأنه في ذلك شأن التناقض الذي يؤدي إلى المحال في النظام الصوري، من هنا فعلى المتكلم الذي يريد الحفاظ على تقدير السامعين التآني، و عدم العجلة في تقديم قضية مغلوبة حتى لا يكون موضع شبهة للآخرين، ثم لا يجد مخرجا لتبرير موقفه.

-الحجج التي تقوم على البني الرياضية:

تستند طبيعة هذه الحجج على القواعد الرياضية حيث تشكل خلفيتها العميقة، و تبني عليها حججها، و مختلف طاقتها الإقناعية، و تتفرع تحت هذه الحجج، حجة التعدية، و حجة المقارنة.

-حجة التعديّة: التعديّة في العرف الرياضي هي خاصية شكلية تتصف بها بعض العلاقات، و تسمح بالانتقال من إثبات وجود علاقة بين عنصرين (أ) و (ب)، وبين (ب) و(ج) للوصول إلى علاقة نفسها بين عنصرين (أ) و(ج). هذه الخاصية هي التي تميز بعض العلاقات من باب التساوي و التفوق، و توظف علاقات التعديّة بشكل بارز في الحالات التي تقتضي تنظيم أحداث لا تتوفر فيها إمكانية مواجهتها و مقابلتها فيما بينها بطريقة مباشرة.

يقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا //// بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

فالشاعر في هذا الموقف الحجاجي يوضح انتساب بني أبنائه إليه بحجة التعديّة، فقد أكد أن أبنائه جزء لا يتجزأ منه، ولما كان بنوهم آباؤهم أبناء الشاعر، فإنهم بحجة التعديّة يكونون أبنائه، فيعمل بذلك انتسابهم إليه، في حين استبرأ من أبناء بناته، لأنه يري أن العلاقة التي تجمعهم برجالهم لا تعدو أن تكون علاقة مصاهرة، من هنا فإن أبناء بناته سينطبق عليهم الحكم الذي انطبق على أبنائهم، ومنهم أبناء بناته ليسوا ببنيه.

-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

لا بد أن نشير إلى أن مثل هذا الصنف من الحجج لا يعتمد على المنطق، و إنما يتأسس على مجموعة من العلاقات التي ترتبط بالواقع يمكن للمتأمل أن يقف عندها بالملاحظة إلا أنها في الحقيقة تستخدم حججا شبه منطقية للربط بين الأحكام المسلم بها ، و أحكام يسعى إلى تثبيتها لتصبح مقبولة ، وتندرج ضمن هذه الفئة

من ا □ حجج العلاقات الكنائية و المجازية ا □ رسالة<sup>1</sup>.

إن الحجج المؤسسة على بنية الواقع متعددة منها النفعية، و التبديد و الغائية، هذه الأخيرة التي تندرج تحت حجة الاتجاه التي تنص على رفض أمر لة اعترفنا على أنه في حد القبول لأنه الوسيلة التي توصلنا إلى غاية لا نحبد الوصول إليها، فهذه الحجة مفادها رفض و نبذ السير في اتجاه معين مخافة أن

<sup>1</sup> - □ مد الو □ : مفاهيم بلاغية، الكنائية والشاهد والتشبيه والاستعارة والتمثيل والأسطورة، □ لة علامات، العدد 17، ص 93

يقودنا إلى ما لا نريد، ولنمثل بهذا الموقف في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين كان يببالغ في عبادة الصيام، ويختم القرآن كل في كل شهر مرة، اقرأ في كل عشرة أيام مرة، اقرأ في كل ثلاث مرة.

إن الشاهد في الرسالة الموجة لعبد الله بن عمر قول النبي الكريم إني أخشى أن يطول بك العمر، وأن تمل قراءته. إن المتكلم المحاجج وهو (النبي الكريم) يريد قناع السامع (عبد الله) بأن يتجنب المبالغة في العبادات مستندا إلى ما قد تفضي إليه نتائج سلبية إن هو عاش طويلا.

إن حجة الاتجاه التي يعتمد عليها المتكلم لإقناع مع (المتلقي) بالعدول عن سلوك ما وإن كان محبذا في عمومه، فإن بعض النتائج السلبية قد تظهر استنادا للتجربة من الواقع، (طول العمر وعدم الالتزام).

-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

تقول خديجة بوخشة في كتابها الموسوم محاضرات في اللسانيات التداولية ص 59 معرفة الحجة المبنية للواقع إذا كانت أ □ حجج أ □ وأسسه على بنية الواقع تكفي بالربط ب □ وقائع متعايشة أو متتابعة؛ فإن أ □ حجج أ □ بنية للواقع تستند إ □ أ □ مع ب □ أحداث وأشياء م □ ابطة مكانيا أو زمانيا، أو رمزيا حيث نستدل على شيء بآخر يرتبط به<sup>2</sup>.

يرتبط هذا النوع من الحجج بالواقع، لكنه لا يتأسس عليه، ولا ينبني على بنيته، إن هو الذي يؤسس هذا الواقع و يبنيه، أو يكلمه، وربما يظهر ما يخفى من علاقات بين أفكاره المتعددة، و تدخل ضمن الحجج المبنية للواقع تلك الصور البيانية، التي تعد رافدا حجاجيا كالتشبيه الضمني في التراث البلاغي العربي. لقد جعل علماؤنا التشبيه الضمني قياسا خطابيا يكون دائما لتبرير ما يستدل به، فهذا حازم القرطاجني يؤكد ذلك بقوله: و أكثر ما يستدل به في الشعر بالتمثيل الخطابي و هو الحكم على جزء بحكم موجود في جزء آخر يماثله.

يحاول المثال الذي نسرده توضيح هذا النوع من الحجج يقول الشافعي :

تبغي النحاة و لم تسلك طريقها إن السفينة لا تجري على الياض

<sup>2</sup> - . □ مد الو □، الاستعارة □ □ طات يونانية عربية وغربية، ص 399

الصورة البيانية الوارد في الشاهد تشبيه ضمني ، و المقصود أن يؤتي بكلام مستقل مقرون بكلام آخر ، و قد اشتمل هذا الكلام الآخر على معنى يفهم منه ضمنيا تشبيه يناسب الكلام المستقل الذي اقترن به، فلو تأملنا الشاهد لأدركنا أنه تضمن تشبيها لم يأت على نسق التشبيه المعهود من ذكر المشبه و المشبه به، ويحمل هذا التشبيه دلالة أنه من لم يسلك مسالك النجاة تكون عاقبته مثل عاقبة السفينة البحرية إذا وضعت على اليابسة لا تتحرك. من هنا فالتشبيه الضمني هو من مقومات الحجاج الخطابي الذي يقوم على مقدمات تؤول إلى نتائج، فلو تمعنا في الشاهد لوجدناه يقوم على مقدمتين و نتيجة ضمنية نلخصها فيما يلي:

مقدمة 1 \_\_\_\_\_ يريد النجاة و يطلبها، لكنه لم يسلك طريقها.

مقدمة 2 \_\_\_\_\_ بعمله هذا يحاول أن يجري السفينة على ظهر اليابسة

-نتيجة ضمنية\_\_\_\_\_ لا أمل في النجاة رغم المحاولات ،لأنك لو أردتها فعلا لهيأت الأسباب.

من هنا تظهر أهمية التشبيه الضمني في الحجاج إذ يكفي أن يسلم المتلقي بالمقدمات حتى يقبل النتيجة ،فالحكم باستحالة تحقق مقدمة 2، يسوغ لنا إعطاء الحكم نفسه على المقدمة 1، أي استحالة فعل النجاة أيضا.

مراجع الدرس:

- 1-محاضرات في اللسانيات التداولية خديجة بوخشة
- 2- الاستعارة □ □ طات يونانية عربية وغربية ، □ مد الو□ ،
- 3- محاضرات في اللسانيات التداولية ،مخطوط حورية زلاقي ،2019.
- 4-الأبعاد التداولية في العملية التواصلية ،عيسى بربار 2016.

